

ما سقط في العراق...

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

إذا كانت تجربة العراق في السنوات الـ16 الأخيرة تعني شيئاً، فهي تعني أن الميليشيات المذهبية لا يمكن أن تبني دولة. حيث تحل الميليشيات، يحل الخراب. الأمثلة كثيرة. من بين الأمثلة لبنان وسوريا واليمن. لا مستقبل للبنان في غياب الدولة وجيشها الذي يحتكر السلاح. لن تقوم قيامة لسوريا بعدما صارت الميليشيات صاحبة القرار في هذه المنطقة أو تلك. أما اليمن، الذي تشظى، فسيفرق أكثر فاكتر في حال البؤس التي يعاني منها بعدما قبلت "الشرعية" تسليم صنعاء إلى ميليشيا الحوثي (انصار الله) قبل خمس سنوات.

ما سقط بعد أيام قليلة من الاضطرابات في بغداد ومناطق مختلفة هو نظام حاولت إيران إقامته في العراق بهدف واحد وحيد هو منع قيام دولة عراقية مستقلة في يوم من الأيام. مطلوب إيرانياً ألا تقوم للعراق قيامة. هذا كل ما في الأمر، لا أكثر ولا أقل.

كان الهدف الإيراني، ولا يزال واضحاً كل الوضوح. إنه يتمثل في قيام دولة عراقية تدور في الفلك الإيراني، دولة أسيرة ما تقرره ميليشيات تابعة ل طهران سبق لها أن حاربت إلى جانب "الحرس الثوري" في المواجهة مع الجيش العراقي بين العامين 1980 و1988.

ما سقط بعد أيام قليلة من الاضطرابات في بغداد ومناطق مختلفة هو نظام حاولت إيران إقامته في العراق بهدف واحد وحيد هو منع قيام دولة عراقية مستقلة في يوم من الأيام. مطلوب إيرانياً ألا تقوم للعراق قيامة

من هذا المنطلق، يمكن توقع إلقاء إيران بثقلها كي تمنع سقوط النظام القائم الذي أخذت على عاتقها تشييده والذي تحول "الحشد الشعبي"، الذي هو كناية عن تجمع الميليشيات المذهبية، إلى عموده الفقري. سيسقط مزيد من القتلى في العراق بسبب الإصرار الإيراني على التمسك بالنظام الحالي الذي تمثله حكومة عادل عبدالمهدي المنتخبة عن انتخابات أيار - مايو 2018.

ستحاول إيران بما تملكه من أدوات عراقية تكرر تجربة 2009 في طهران والمدن الإيرانية الأخرى، حيث قمعتم ثورة شعبية حقيقية سُميت "الثورة الخضراء" من أجل أن يستمر نظام الملاي الذي أوصل الشعب الإيراني إلى ما وصل إليه، أي إلى أن يصبح ما يزيد على نصف هذا الشعب يعيش تحت خط الفقر... وفي ظل عقوبات دولية، خصوصاً أميركية.

لأن إيران تنوي قمع ثورة الشعب العراقي، بدأ مسؤولوها والناطقون باسمها في العراق ولبنان يتحدثون عن "مؤامرة" أميركية وإسرائيلية على العراق. الواقع أن هناك مؤامرة إيرانية على العراق تولد الولايات المتحدة تنفيذها في العام 2003. لم يعد سرّاً أن إيران كانت الشريك الفعلي في الحرب الأميركية على العراق التي استهدفت إسقاط نظام صدام حسين، وهو نظام يصعب الدفاع عنه نظراً إلى أنه ارتكب أخطاء كثيرة على الصعيدين الداخلي والإقليمي.

لكن عملية التخلص من النظام في العراق انتهت بمأساة. بشكل النظام القائم حالياً خير تعبیر عن هذه المأساة التي حرمت العراقيين من ثروات بلدهم التي ذهبت إلى جيوب أشخاص معروفين في

الداخل العراقي، وإلى "الحرس الثوري" الذي يستفيد إلى أبعد حدود من نهب العراق.

سيكون صعباً على إيران التخلي عن العراق. لذلك ستقمع الثورة الشعبية، مثلما وقعت في وجه أي محاولة لإعادة بناء الجيش العراقي الذي بات يمثل في هذه الأيام خشبة خلاص للاكثورية العراقية، بما في ذلك لشعبة العراق من العرب. هؤلاء أثبتوا مرة أخرى رفضهم للاستعمار الإيراني وتمسكهم بالروح الوطنية العراقية. هؤلاء كانوا وراء صمود العراق في الحرب الطويلة التي خاضها مع إيران. كان الرهان الإيراني على أن المناطق ذات الأكتورية الشيعية، خصوصاً في الجنوب، لن تقاوم، بل ستركب بالإيرانيين بمجرد اقترابهم من البصرة أو مدن وبلدات جنوبية أخرى. لم يحدث شيء من ذلك. بقي العراقي عراقياً والإيراني إيرانياً. بقي الفرس فرساً والعرب عرباً... حتى العام 2003.

وفرت الحرب الأميركية على العراق فرصة كي تنتقم إيران. لا تزال فكرة الانتقام من العراق التي بدأت باغتيال كل طيار عراقي شارك في قصف الأراضي الإيرانية في حرب السنوات الثماني مستمرة وإن بشكل آخر. هناك تبرير إيراني لنهب ثروات العراق. تبرّر إيران عملية النهب هذه بتعويضات مستحقة بسبب الحرب مع العراق. ليس ما يشير إلى إشعار آخر أن إيران قررت التخلي عن نهجها في العراق. وهذا ما يفسر إلى حد كبير ذلك الإصرار على قمع الثورة الشعبية العراقية على النظام القائم، وهي ثورة يسعى أكثر من زعيم عراقي، بما في ذلك مقتدى الصدر، إلى خطفها.

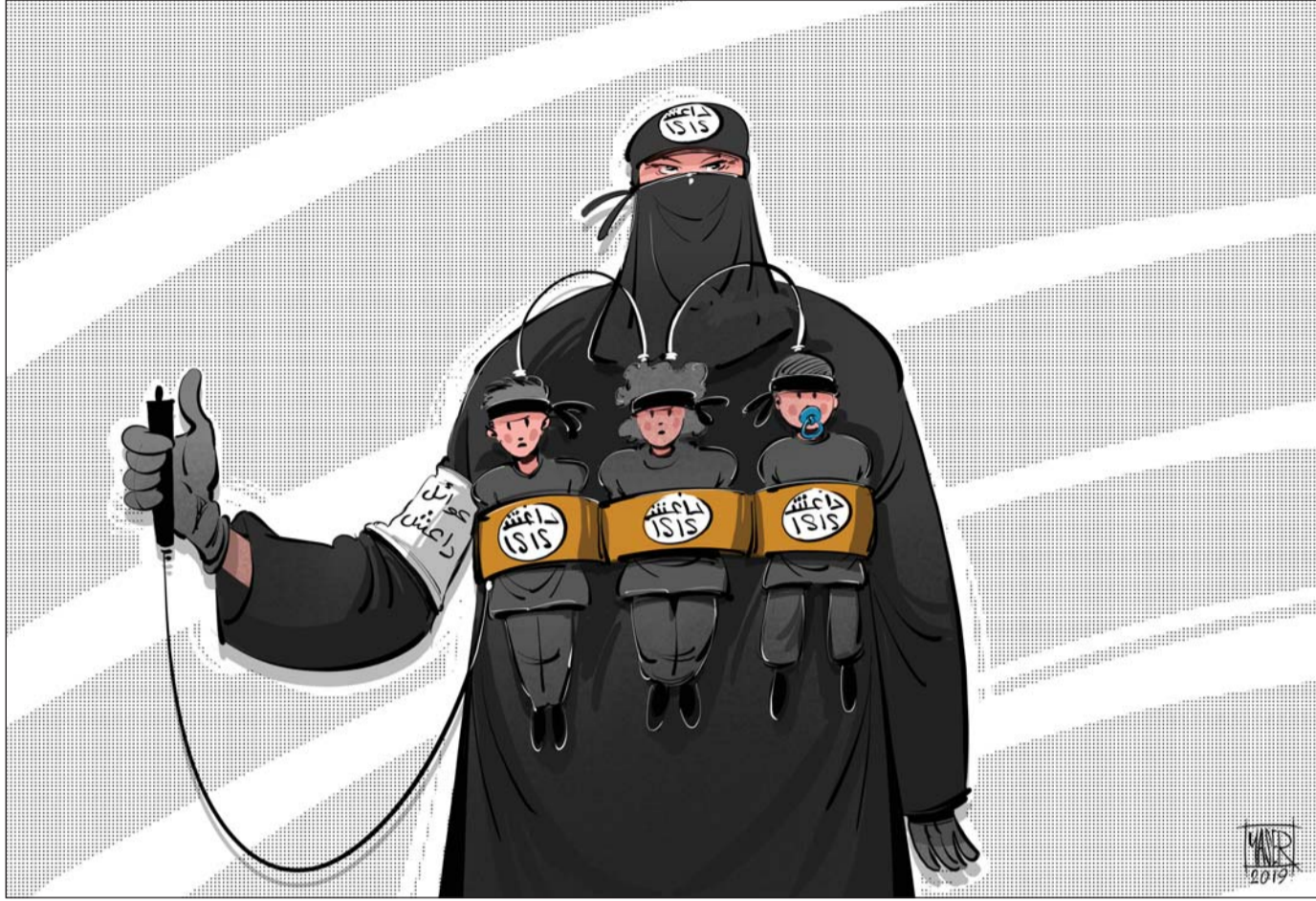
تمكنت إيران من قمع الثورة الشعبية العراقية أم لم تتمكن من ذلك، الأكد أن الوضع العراقي لن يرتاح قريباً. هناك كل المقومات التي تسمح باستمرار الانتفاضة الشعبية على الرغم من وسائل القمع المختلفة التي ستستخدم لإسكاتها واستيعابها.

هناك قبل كل شيء نظام جديد في العراق لم يعد يستطيع إعادة إنتاج نفسه، لا شيء سوى لأن إيران تتحكم به عبر ميليشياتها. أنتج هذا النظام أكثرية برلمانية في الماضي. لكن إيران رفضت نتائج الانتخابات وقررت في العام 2010 أن تكون نوري المالكي رئيساً للوزراء وليس إبياد علاوي. حصل ذلك بالاتفاق مع الإدارة الأميركية وقتذاك، إدارة باراك أوباما، التي كان همها محصوراً باسترضاء طهران بغية التوصل إلى اتفاق في شأن الملف النووي الإيراني. وهذا ما تحقق صيف العام 2015.

تكرر المشهد في 2018. كان مطلوباً إيرانياً منع حيدر العبادي من العودة إلى موقع رئيس الوزراء بعدما أظهر نوعاً من الاستقلالية عن إيران. اتت إيران بعادل عبدالمهدي الذي تبين أن هامش التحزّر من الاملاءات الإيرانية محدود جداً لديه. ليس فشل عادل عبدالمهدي في التعاطي مع التطورات العراقية الأخيرة بمثابة فشل لشخص معين، بمقدار ما أنه فشل إيراني في فرض نظام الميليشيات على العراق.

يستطيع نظام الميليشيات تدمير البلد، لكنه لا يمكن أن يضع حجراً على حجر. السؤال في العراق الآن، ماذا بعد انهيار النظام الذي سد كل أبواب الأمل في وجه العراقيين؟

الأكد أن الجواب ليس في عود عادل عبدالمهدي التي يفهم منها أنه يريد إنشاء نظام اقتصادي ريعي يقوم على توزيع الأموال على العائلات الفقيرة. هناك بكل بساطة نظام انهيار ودولة لم تعد فيها مؤسسات بعدما اخترق الإيرانيون كل الوزارات، بما في ذلك وزارات سيادة وأخرى تهتم بالتعليم والبرامج التعليمية. هل يمكن إعادة ترميم العراق ومؤسساته في ظل الإصرار الإيراني على رفض قيام أي مؤسسة عراقية، كالجيش الوطني مثلاً، يمكن أن تشكل رمزاً لوجود البلد كدولة مستقلة فعلاً، وليس تحت رحمة الميليشيات المذهبية؟ الجواب أن مثل هذه المهمة تبدو مستحيلة أكثر من أي شيء آخر.



انتفاضة شباب العراق فرصة تاريخية للتغيير

هدد أحد أعمدة الشيعية المتطرفين (وهو جلال الصغير) بانهم سينزلون بسلاحهم للشوارع للتصدي لما أسماه "النواصب والوهابية والبغثيين الذين يتظاهرون لإسقاط دولة الحسين"، وقد تبنت القيادة الموجهة للنظام السياسي في العراق أساليب جديدة رغم أنها فاشلة، الهدف منها تمصيع أزمة العراق السياسية عبر تجزئة المشكلات وتحويلها إلى قضايا خدمية يمكن حلها بالوعود المبرمجة أكثر قصراً زمنياً، مثلما طالب مقتدى الصدر بحصر المطالبات الشعبية بالخدمات فقط، وانهايم بعض الزعامات السياسية بأن رافعي الشعارات السياسية هم مدسوسون من أميركا أو غيرها. وهي محاولة لتجاهل العقل الشبابي العراقي وإهانته.

قد تتمتع سلطة الحكم وأحزابه وبمساندة الميليشيات المسلحة من إيقاف المظاهرات عبر أساليب وأدوات القمع والقتل وقطع الإنترنت ومنع التجول التي لا تمت بصلة للنظم الديمقراطية، واستخدام القناصة في اصطيد الشباب الناصر، لكنها لن توقف الانتفاضة الشبابية التي حركت الأحزاب الحاكمة والتي هي سبب الكارثة لوضع ترتيبات قد تقود إلى تحكّم أكبر للقوى

الموالية ل طهران بصورة أكثر تأثيراً تحت عنوان التغيير. ولا مخرج للأزمة المتفجرة حالياً سوى باعتراف علني لقيادة النظام السياسي وأحزابه بالفشل، وهم مجبرون على هذا الخيار بعد أن أخذوا فرصتهم لسنة عشر عاماً في السلطة والنهب والقتل، وأن يتولى المسؤولية السياسية من أثبتت التجربة حرصهم على بلدهم عبر مشروع للتغيير دعوت إليه منذ سنوات عبر جريدة العرب، وشاركني فيه الكثير من العراقيين، تتم من خلاله عملية اختيار لممثلين من بين قادة الحراك الشعبي منذ عام 2008 ولحد الآن، إلى جانب بعض قادة الجيش البواسل الذين أثبتوا جدارة في الدفاع عن الوطن، وكذلك الشخصيات الوطنية العراقية التي أكدت بمواقفها انحيازها إلى قضايا الشعب ومطالبه وبعض السياسيين غير المتورطين بالفساد والفتن وبعض قادة المجتمع المدني ونخب المثقفين غير الطائفين، وفق آلية تشكيل لجنة تحضيرية من بينهم تدعو إلى مؤتمر وطني عراقي إقاضي بعيداً عن الطائفية يضع برنامجاً سياسياً عراقياً يدعو إلى تنفيذ بعض الإجراءات العاجلة، بما يمنع الانفلات الأمني عن طريق تشكيل حكومة طوارئ وهيئة عسكرية عليا من خارج الأحزاب والميليشيات تدير الوضع الأمني الوطني وتمنع التدخلات الخارجية، وتجميد أعمال البرلمان لحين موعد الانتخابات المبكرة وتعديل الدستور وبإشراف مباشر من الأمم المتحدة. هذه فرصة تاريخية للعراقيين لا يملك إرادتهم السياسية بأيديهم.

لا مخرج للأزمة المتفجرة حالياً سوى باعتراف علني لقيادة النظام السياسي وأحزابه بالفشل، وأن يتولى المسؤولية السياسية من أثبتت التجربة حرصهم على بلدهم عبر مشروع للتغيير

برّة" ويواجه هيمنتها في العراق التي تشكل الجزء الأكبر من المشكلة العامة في العراق، وهي لا تتردد في قمع شباب الانتفاضة وسحقهم ولا يهتما أن تجعل من شوارع بغداد نهراً من الدم. لكن ما حصل لاستيعاب الانتفاضة عقد المشهد أكثر، فبرزت الأحصنة المتعبة الفاشلة لتلعب دور المنقذ والمصلح للعملية السياسية بتوافق ليس غريباً بين رموز من الخاسرين والفاشلين ورموز الاستبداد لفترة ما قبل عبدالمهدي في تبني غير صادق لدعم الانتفاضة الشبابية عن تكرار لذات

معرفة، الذين يقتلون الشباب بهدف إشعال حرب داخلية تجعل العراق مسرحاً شديداً بسوريا. وهم أنفسهم الذين هاجموا مكتب قناة العربية والحدث في بغداد واعتدوا على موظفيها وكذلك قناتي دجلة وأن.آر.تي. لأنها كانت تنقل الواقعة بحرية واستقلالية. هناك لعبة مزدوجة تجري اليوم على هامش حركة انتفاضة شباب العراق ذات جانبين: محلي وخارجي إيراني والهدف منها قمع إرادة الشعب العراقي وتغيير الوجوه وليس المنهج. الجزء الأول منها يهدف إلى إزاحة عادل عبدالمهدي الذي يصارع مع أجل البقاء في السلطة معتمداً على ما يعتقد دعم المرجعية الشيعية له رغم تخلي الجناح البرلماني الكبير (مقتدى الصدر) عنه، ويظهر على مسرحها كل من نوري المالكي "البطل المنقذ" للعملية السياسية، وحيدر العبادي رغم ابتعاده عن طهران التي عاقبته. أما الجزء الثاني فهو إيران التي لا تسمح بأي تحرك شعبي يرفع شعار "إيران برة"

الذي له الفضل في كشف هذه الحقيقة وليس في إمكانيات تنفيذها. في لحظة تاريخية قبل انفجار الانتفاضة كان يمكن لعبدالمهدي أن يتحول إلى زعيم شعبي يرفع الظلم والجور عن شباب العراق كله وأبناء طائفته التي حمل ورفاقه في سنوات المعارضة مظلوميته. وخياره الفاشل هذا ضيع عليه تلك الفرصة التاريخية ونفذ منطق الدولة البوليسية الجائرة التي تقفل المظاهر وتصفه بأوصاف مهينة ومستفزة لكرامته وتاريخه الطويل، عبر سلسلة الإجراءات الأمنية العقابية مثل قطع خدمة الإنترنت واصفاً إياه "بالدواء المر"، وهو توصيف لا يبرئه من المسؤولية.

حاولت إمكانيات تنفيذها. في لحظة تاريخية قبل انفجار الانتفاضة كان يمكن لعبدالمهدي أن يتحول إلى زعيم شعبي يرفع الظلم والجور عن شباب العراق كله وأبناء طائفته التي حمل ورفاقه في سنوات المعارضة مظلوميته. وخياره الفاشل هذا ضيع عليه تلك الفرصة التاريخية ونفذ منطق الدولة البوليسية الجائرة التي تقفل المظاهر وتصفه بأوصاف مهينة ومستفزة لكرامته وتاريخه الطويل، عبر سلسلة الإجراءات الأمنية العقابية مثل قطع خدمة الإنترنت واصفاً إياه "بالدواء المر"، وهو توصيف لا يبرئه من المسؤولية.

الذي له الفضل في كشف هذه الحقيقة وليس في إمكانيات تنفيذها. في لحظة تاريخية قبل انفجار الانتفاضة كان يمكن لعبدالمهدي أن يتحول إلى زعيم شعبي يرفع الظلم والجور عن شباب العراق كله وأبناء طائفته التي حمل ورفاقه في سنوات المعارضة مظلوميته. وخياره الفاشل هذا ضيع عليه تلك الفرصة التاريخية ونفذ منطق الدولة البوليسية الجائرة التي تقفل المظاهر وتصفه بأوصاف مهينة ومستفزة لكرامته وتاريخه الطويل، عبر سلسلة الإجراءات الأمنية العقابية مثل قطع خدمة الإنترنت واصفاً إياه "بالدواء المر"، وهو توصيف لا يبرئه من المسؤولية.

حاول رئيس الحكومة وقيادة الأحزاب تمصيع حدود الخصومة بينهم وبين الشعب، فعبدالمهدي يساوي بين الضحية والقاتل في هذه الانتفاضة، ويدير إجراءاته بانها حماية لسلطة القانون مع أنه يعلم عبر التقارير التي تصله يومياً أن المظاهرين هم أكثر حرصاً على إخوانهم الشرطة والقوات الأمنية، وأكثر حماية للمباني والمؤسسات الخدمية الحكومية رغم أنها لم تكن مقرات لخدمات المواطنين، وإنما أعشاشاً للسرّاق ونهايي ثروات الشعب، وأصبحت خلال أيام الانتفاضة المباركة مكاناً للقنّاصين المرتبطين بجهات

معرفة، الذين يقتلون الشباب بهدف إشعال حرب داخلية تجعل العراق مسرحاً شديداً بسوريا. وهم أنفسهم الذين هاجموا مكتب قناة العربية والحدث في بغداد واعتدوا على موظفيها وكذلك قناتي دجلة وأن.آر.تي. لأنها كانت تنقل الواقعة بحرية واستقلالية. هناك لعبة مزدوجة تجري اليوم على هامش حركة انتفاضة شباب العراق ذات جانبين: محلي وخارجي إيراني والهدف منها قمع إرادة الشعب العراقي وتغيير الوجوه وليس المنهج. الجزء الأول منها يهدف إلى إزاحة عادل عبدالمهدي الذي يصارع مع أجل البقاء في السلطة معتمداً على ما يعتقد دعم المرجعية الشيعية له رغم تخلي الجناح البرلماني الكبير (مقتدى الصدر) عنه، ويظهر على مسرحها كل من نوري المالكي "البطل المنقذ" للعملية السياسية، وحيدر العبادي رغم ابتعاده عن طهران التي عاقبته. أما الجزء الثاني فهو إيران التي لا تسمح بأي تحرك شعبي يرفع شعار "إيران برة"

الذي له الفضل في كشف هذه الحقيقة وليس في إمكانيات تنفيذها. في لحظة تاريخية قبل انفجار الانتفاضة كان يمكن لعبدالمهدي أن يتحول إلى زعيم شعبي يرفع الظلم والجور عن شباب العراق كله وأبناء طائفته التي حمل ورفاقه في سنوات المعارضة مظلوميته. وخياره الفاشل هذا ضيع عليه تلك الفرصة التاريخية ونفذ منطق الدولة البوليسية الجائرة التي تقفل المظاهر وتصفه بأوصاف مهينة ومستفزة لكرامته وتاريخه الطويل، عبر سلسلة الإجراءات الأمنية العقابية مثل قطع خدمة الإنترنت واصفاً إياه "بالدواء المر"، وهو توصيف لا يبرئه من المسؤولية.

حاولت إمكانيات تنفيذها. في لحظة تاريخية قبل انفجار الانتفاضة كان يمكن لعبدالمهدي أن يتحول إلى زعيم شعبي يرفع الظلم والجور عن شباب العراق كله وأبناء طائفته التي حمل ورفاقه في سنوات المعارضة مظلوميته. وخياره الفاشل هذا ضيع عليه تلك الفرصة التاريخية ونفذ منطق الدولة البوليسية الجائرة التي تقفل المظاهر وتصفه بأوصاف مهينة ومستفزة لكرامته وتاريخه الطويل، عبر سلسلة الإجراءات الأمنية العقابية مثل قطع خدمة الإنترنت واصفاً إياه "بالدواء المر"، وهو توصيف لا يبرئه من المسؤولية.

حاولت إمكانيات تنفيذها. في لحظة تاريخية قبل انفجار الانتفاضة كان يمكن لعبدالمهدي أن يتحول إلى زعيم شعبي يرفع الظلم والجور عن شباب العراق كله وأبناء طائفته التي حمل ورفاقه في سنوات المعارضة مظلوميته. وخياره الفاشل هذا ضيع عليه تلك الفرصة التاريخية ونفذ منطق الدولة البوليسية الجائرة التي تقفل المظاهر وتصفه بأوصاف مهينة ومستفزة لكرامته وتاريخه الطويل، عبر سلسلة الإجراءات الأمنية العقابية مثل قطع خدمة الإنترنت واصفاً إياه "بالدواء المر"، وهو توصيف لا يبرئه من المسؤولية.

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

لقد وقع عادل عبدالمهدي في الخطأ الاستراتيجي الكبير حين اختار أن يظل بعيداً عن موقع انتفاضة الأول متمسكاً بالكهولة السياسية والخضوع لإرادة من جاؤوا به للسلطة. كان بإمكانه أن يختزل ذلك العمر الطويل من التجربة السياسية وأن يوفي لشبابه ويستجيب للمطالب المشروعة للعراقيين ونخبهم السياسية الذين سالت دماؤهم في شوارع الفتح الجديد الذي يسيطره الشباب، وأن يتخذ إجراءات إنقاذية تتناسب مع الوضع الجديد، وليس بخطاب إنشائي ومنطق المثاهل والمثوسل لقيادة الكتل كي يمنحوه مزيداً من الصلاحيات، فرمى الكرة في خطابه التبريري إلى البرلمان طالباً منحه الصلاحيات في إعادة النظر بتشكيلته حكومته، مكرراً ما فعله سلفه حيدر العبادي، فيما رد الكرة بعد ساعات رئيس البرلمان إلى ساحته لدرجة أنه زاحم السلطة التنفيذية، ثم اتخذ بعض القرارات الترقيعية بالتنسيق مع رئيس البرلمان.

وجد عبدالمهدي في بيان المرجعية الشيعية دعماً له لكنه نسي أن ذات المرجعية التي يتعزز عليها سياسيو العملية السياسية سبق أن أعطت الدعم لسلفه العبادي، لكنه لم يقدم شيئاً وبرر ذلك بالمعركة ضد تنظيم داعش رغم أن تلك المعركة لم تكن حرباً شاملة تمنع التنمية والتطور في باقي محافظات العراق، لكنه تبرير موظفي الاملاءات الإيرانية محدود جداً. قدمه شعب العراق من تضحيات ومن دماء اللحظة التاريخية الراهنة لشباب العراق.

وإذا كان الحديث عن المبررات والنزاع مقبولاً رغم أنه خارج الزمن، فإن طرف عبدالمهدي اليوم مختلف، فقد دعمته القوتان البرلمانيتان الكبيرتان وقيدته بمنهجها وطوعهما في الهيمنة على المناصب الحكومية، لكنه لم يطلق الرصاص الأولى على الفاسدين وأثر التراضي مع الأحزاب داخلية، وإيران المخرب الأول للعراق خارجياً.

وفي ظل مناخ الانتفاضة الشبابية التي قدمت أكثر من 120 شهيداً إلى حد كتابة هذه السطور وقد يزيد العدد بالمئات، اعتقد عبدالمهدي أنه بإصداره قرار إزاحة ألف موظف صغير متهم بالفساد يضع نفسه في مكانة المحارب الكبير للفاسدين، لكن زميله رئيس البرلمان كان أكثر منه جرأة حين دخل عش السلطة التنفيذية في لقائه بنماذج قبل إنهم من المظاهرين لكنهم ليسوا معبرين عن الانتفاضة الكبيرة، واتخذ قرارات كان يمكن أن تكون جزءاً من برنامج المصلح الاقتصادي عبدالمهدي، بما يكشف الخدعة الكبيرة لقيادة العملية السياسية من أن هناك إمكانيات وقدرات مضمومة ظهرت فجأة في المؤتمر الصحافي لرئيس البرلمان